اختر أحد السؤالين الآتيين

س1) كان العصر العباسي مزيجاً اجتماعياً وفكرياً جمع التظرف والاعتدال، فقد ظهرت مظاهر اللهو والمجون والشعوبية والزندقة والزهد والتصوف والثراء وما رافقه من غناء ورقيق وجوار وقد كان لكل ذلك اثره على الشعر. وضح ذلك في مقال أدبيّ مع الشواهد ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

س2) اقرأ الأبيات الآتية ثم علق عليها بلغة سليمة تتناسب والمعاني التي تحتويها. ووضح الخصائص الفنية الشكلية للأبيات.

1- لي حبيب حبه وسط الحشا إن يشا يمشي على خدي مشى
روحه روحي وروحي روحه إن يشا شئت وإن شئت يشا

يمثل البيتان ظاهرة التصوف على لسان الحلاج، حيث الحب الإلهي واتحاد المشيئة، وتضحية المحب في سبيل المحبوب واتحاد روح الصوفي بروح الله وحلولها فيه، فيقولان شيئاً واحداً. ويلاحظ عذوبة الموسيقى وجمال اللغة وتكمين الهمزة (يشا) بدل يشاء

2- الهَ بالبيض الملاح وبقيناتٍ وراحِ
ليس للهمِّ دواء كاغتباقٍ واصطباحِ

يمثل البيتان ظاهرة اللهو والمجون على لسان أبي نواس، فهو ينصرف إلى اللهو بالجميلات الحسان البيض والمغنيات والخمر، ليصرف الهمّ عنه، فلا دواء للهموم كالشراب في المساء (اغتباق) وفي الصباح (اصطباح).

Scanned by TapScanner

3- دع الأطلال تسفيها الجنوب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا

وتبلي عهد جدتها الخطوب
ولا عيشا فعيشهم جديب

يمثل البيتان ثورة على كل ما هو عربي ، فهي ظاهرة الشعوبية وتتمثل في الشعر على لسانه الذي نواس. فهو يدعو للثورة على الوقوف على الأطلال ويدعو على الأطلال بالبلى وأن تمحى بركاتها الخيوب ، ويدعو إلى عدم أخذ شيء عن الأعراب ، لأنه حياتهم جدبية قاسية.

4- يا غافلاً ترنو بعيني راقد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
ونسيت أن الله أخرج آدماً

ومشاهداً للأمر غير مشاهد
دزك الجنان بها وفوز العابد
منها إلى الدنيا بذنب واحد

تمثل الأبيات ظاهرة الزهد عند أبي العتاهية ، حيث يدعو فيها العصاة للتوبة ، وعدم مواصلة الذنوب لأنه مهما يفعل ذلك فليس حريًا به أن يرتقي إلى الجنان والفوز بها ، لأنه استصغر الذنوب يجعلها كبيرة وكيف لا وقد أخرج آدم من الجنة بذنب واحد حينما عصى ربه وأطاع الشيطان.

5- إبليس أفضل من أبيكم آدمٌ
النار عنصره وآدم طينةٌ

فتنبهوا يا معشر الفجّار
والطين لا يسمو سمو النار

يمثل البيتان ظاهرة الزندقة على لسان بشار بن برد حيث يفضل إبليس على آدم ؛ لأنه جوهر إبليس من النار وآدم من الطين ، والنار مفضلة على الطين ، ولعل في هذا إشارة إلى عبادة النار عند الفرس المجوسيين.

Scanned by TapScanner

- مظاهر التطرف والاعتدال في العصر العباسي -

إن الشعر يدعو إلى محض أبيات مقفّية إذا غفل عنه اتصاله بمظاهر العصر، فمع تدهور الأوضاع السياسية وصعود الفرس إلى الصفوف العليا وتراجع العرب إلى الصفوف الخلفية، ووصول الفرس إلى الحكم والسيادة، وتدفق الأموال إلى مركز الخلافة الجديد، كان لابد من ظهور نزعات جديدة في المجتمع العباسي، ساعدت على اتصال الشعراء بالحكام. ومن هؤلاء: زعيم اللهو والمجون "أبو نواس" فقد كان نديمًا لوالبه به الحباب الذي رافقه وتعلّم منه الانحراف واللهو في حانات الخمر أشرف فاحش به وبالغ في قصائده في وصف الخمر، ومن العوامل التي ساعدت هؤلاء الشعراء على ظهور تلك الأوضاع الاجتماعية والأخذ بأسباب الترف والبذخ، وانتشار الحانات وأديرة الخمر التي كانت تعج بالجواري والغلمان، وانتشاء غرفة الحربية التي تنادي بالعفو، فأخذ المجّان يشربون حد الثمالة آملًا منهم بأنه الاستيقظ عنهم، وراح الشعراء يصفون الخمر بكل جوانبها، بدءًا من نضوج الثمرة مرورًا بعصرها وتعتيقها وأثرها على النفس البشرية، فقد وصف أبو نواس الكؤوس بأنها مسجدية: "تدار علينا الراح مسجدية".

وبرزت نزعة الشعوبية وهي مذهب اجتماعي مذهبي بأهداف سياسية، تنادي بتفضيل الفرس على العرب، وأنهم أعرق بالحضارة من العرب المتخلفين عن الركب، فراح الشعراء الشعوبيين يفتخرون بنسبهم، ومن ذلك: فخر إسماعيل بن يسار أمام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، بقوله:

إنما سمّي الفوارس بالفرس ... مقابلة رفعة الأنساب.

فغضب منه الخليفة الأموي، وأمر بنفيه من الشام مع أنه الفخر بالحسب والنسب من التقاليد الفنية المعروفة في الشعر العربي بعروبيته، بحجة للفارسي أنه يفخر بفارسيته، ولكنه الخليفة الأموي استشاط غضبًا عليه؛ لأنه الفرس كانوا من الموالي في عهد الدولة الأموية ولم تقدم لهم مقابلة حسنة سمحة. ومن الشعراء الذين افتخروا بفارسهم فخرًا شديدًا بشار بن برد"، فقد فضّل حسبه ونسبه على حسب ونسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال:

هل من رسولٍ مخبرٍ ... عني جميع العرب

من كان منهم حيًا ... ومن توى من الحرب

أني ذو حسبٍ ... عالٍ على ذي الحسب.

كما سعى هؤلاء للإطاحة بالسيادة العربية من خلال إسقاط الأساس الذي قامت عليه وهو الدولة الإسلامية، فهاجموا الإسلام بالحقد والمكائد. وفي الوقت نفسه، وجد الشاعر الشعوبي الفرصة أمامه للبوح بشعره في بلاط الخلفاء العباسيين، واضطر الحاكم العباسي للتحبب لشعرهم، فلا ننسى أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس وبمعاونة منهم.

زخرت مجالس اللهو بأمثال هؤلاء الشعراء، وتردد في الجواري والغناء، وكانت عطاياهم من الخلفاء تتفق مع تلك المجالس، ولم يجلس بشار مكسوف الأسيري لفقده البصر، بل اتخذ من الأذن وسيلة للاستماع كما يستمع المبصر بعينه، يقول:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانًا.

Scanned by TapScanner

وفي ظل انتشار هذه النزعات وطغيانها في المجتمع العباسي، كان لابد من ظهور طائفة تدعو لضبط انحراف المجتمع العباسي عرفوا بالزهاد، ولم تكن نشأتهم الأولى في العصر العباسي، بل كانت بداية إرهاصات دعوتهم مألوفة في الجاهلية باسم "النساك والعباد"، وكان شعرهم يجري مجرى الحكمة في الدعوة إلى الدين، يقول لبيد بن أبي ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل.

واستمر في الظهور في صدر الإسلام والعصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي على يد أبي العتاهية الذي زهد بعد صحوه، فقد رغب عن الدنيا وآثر الآخرة، يقول:

لدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى ذهاب.

واستمد الزهاد مصادر زهدهم من القرآن الكريم، فحاضوا في الآيات التي تتحدث عن الآخرة ومصير الإنسان، ورأوا أن التقوى هي عزة وكرامة الإنسان، مصداقاً لقوله تعالى: "وإن أكرمكم عند الله أتقاكم". بالإضافة إلى القرآن الكريم، فقد نهج الزهاد نهج الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فقد جاءه رجل، قال له: "يا رسول الله، أخبرني كيف يحبني الله ويحبني الناس؟ فما أجابه: "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس". وكذلك، سار واعظ درب الصحابة -رضوان الله عليهم- فاقتدوا بهم في لباسهم المتواضع وما كلامهم البسيط، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام مرقعاً اثنتي عشرة رقعة، وعلى خطاهم أخذ الزهاد يدعون الناس بالموعظة الحسنة.

وإلى جانب الزهد، ظهر التصوف بمصطلحاته المختلفة، كالحلول الإلهي، وأبرز أعلامه رابعة العدوية التي اتخذت من الله محبوباً تخلو به ليلاً بعد أن يخلو كل حبيب بحبيبه، تقول:

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي هو أنت أهل له ... فكشفك الحجب لي حتى أراكا.

وكذلك مفهوم وحدة الوجود، فلا موجود إلا الله، فالمتصوف يرى كل ما في الوجود كأنه الله، فهو يبصر ببصر الله، ويسمع بسمع الله، وكذلك وحدة الشهود التي تنادي بالفناء والبقاء فكل شيء يفنى إلا الله، ولا مشهود ومعبود بحقه إلا الله.

كل تلك المظاهر امتزج بها العصر العباسي، فكان لابد من ظهور اتجاهات تضبط المجتمع من الانسياب واللهو والتذكير بالفناء والإخلاص في العمل لله تعالى.

Scanned by TapScanner